الفكر التداولي عند السهيلي (ت٥٨١هـ)

دراسة لغويَّة

دكتورة/ فاطمة عبد الله ناصر العازمي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية التربية الأساسية–الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

دكتورة/ رابحة محمد ضعين الرشيدي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية التربية الأساسية– الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

ملخَّص

هدَفت هذه الدراسة إلى بيان **ملامح الفكر التداولي عند السهيلي**، وذلك بالكشف عن ملامح اهتمامه بالمتكلِّم وما يقصده وطريقته في الحِجاج وما قام به لمراعاة حال المخاطَب ومعطيات السياق، وبالمخاطَب وآلياته للفهم، وبمعطيات السياق وطريقته في تحليل اللغة اعتمادًا على السياق المقالي والمقامي، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وكان من أهم النتائج التي توصلنا إليها: نظرته إلى اللغة على أنها إنجاز فعلي واقعي، وليست بنية مبتورة عن سياقها المكوَّن من: متكلِّم، مخاطب، سياق، ووَفْرَة الملامح التداولية عنده ووضوحها مع عدم الإشارة إليها صراحةً، وبروز عنايته بالسماع والعوامل المؤثِّرة في الخطاب والمعنى التداولي، والعناية بقصد المتكلِّم أثناء الحوار، وبيان دور الجانب التواصلي في عملية الحوار، والكشف عن الدور الموازي من جانب المخاطَب، والذي يتمثل في حشد معرفته وخبراته وذائقته لإتمام عمليتي التكميل والتوسيع عند الحذف.

الكلمات المفتاحية: التداولية، القصدية، المقبولية، السهيلي

مقدِّمة:

تُعَد التداولية من أهم الاتجاهات اللغوية التي هدَفَت إلى العناية باللغة في حيِّز الاتصال باعتبار أنَّ اللغة ذات علاقة بين مرسل ومستقبل لتحقيق مقاصدَ معينة؛ فهي تُعنَى بالظروف النفسية والاجتماعية للمتكلِّم والمخاطَب، وتجاوزَت النظريات التي كانت تُعنَى بالجانب الشكليِّ للغة بعيدًا عن السياق الثقافي والاجتماعي لها.

وقد تنبَّه علماؤنا القدامى بالدور التداولي للغة قبل أن تصبح التداولية اتجاهًا في تحليل الظواهر والعلاقات اللغوية؛ فهذا ابن جني يعرِّف اللغة بأنها: «أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم»[١]، فقد حدَّد في هذا النص أركانَ التواصل الاجتماعي (المنطوق، والمتكلِّم، والمخاطَب)، وبيَّن أهمية القصد في عملية التواصل، واتَّبَع في ذلك العديدَ من علماء المسلمين كالسهيلي والفيروزآبادي والسيوطي[٢].

وإذا كانت الدراسة الحديثة – ولا سيما الوظيفية والتداولية منها في دراسة اللغة – قد ركَّزَت على العلاقة بين المتكلِّم والمخاطَب وما يحيط بهما؛ فاهتمَّت بالمتكلِّم ومقاصده، وبالمخاطَب وما يُفيدُه، ونظرت إلى المقام وما يتطلَّبُه، وإلى المعنى الذي يمكن أن يُستَفاد في النهاية من العملية التواصلية[٣] – فقد عُنِي السهيلي (٥٨١هـ)[٤] – رحمه الله – بالبحث عن الأسرار الكامنة وراءَ العبارات، ولم يكتفِ بظاهر اللغة أو الجانب الشكلي للغة فقط.

يقول السهيلي: «فإذا كانت صناعة الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، لا يتولج فيها إلا من أبوابه، ولا يتوصل إلى اقتطاف زهراتها إلا بأسبابه، فواجب على الناشئين تحيُّل أصولها، وحُتِّم على الشادين البحثُ عن أسرارها وتعليلها»[٥].

لقد برزت ملامح الفكر التداولي عند السهيلي من خلال تركيزه على المتكلِّم وقصده، والمخاطَب والطرُق التي يكشف بها عن المعنى، والسياق اللغوي والمقامي، والاستعمال الوظيفي، وهو ما تحاول الدراسة الحالية القيام ببيانه في محاورها الثلاثة.

---

١) الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، د.ت، ١/ ٣٤.

٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ١/ ١٣٣١، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ١/ ١١.

٣) انظر: علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، عمر محمد أبو نواس، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج(٧)، ع(٢)، ربيع الثاني ١٤٣٢هـ / نيسان ٢٠١١م.

٤) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي الحسن الخثعمي ثم السهيلي أبو زيد، محدّث أديب نحوي لغوي من أهل مالقة، كان مولده عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة من الهجرة، وكان ممتَّعًا بإحدى عينيه منذ أن كان ابن سبع عشرة سنة، ورغم ذلك كان رحْب الأفق، عميقَ الفكر، واسع الثقافة، عالمًا بالقراءات واللغات والعربية وضروب الآداب، وجمَع بين الرواية والدراية، وحمل الناس عنه، توفي في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة، انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت، ١/ ٣٦٧، ومطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، أبو عبدالله بن عسكر، أبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج: عبدالله المرابط المرعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٥٢.

٥) نتائج الفكر في النحو، السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٦.

وليس القصد من هذه الدراسة هو إقحام النظريات اللغوية الغربية في الفكر اللغوي عند العرب، وإنما القصد هو كشف نمط التداولية عند العرب من خلال معالجة السهيلي لجوانبها في كتبه اللغوية والفقهية وغيرها؛ فعلى الرغم من شيوع النظريات الحديثة إلاَّ أنَّه يبقى للفكر العربي دورُه الذي لا يُنكَر في الكشف عن عمق التفكير اللغوي في دراسة اللغة دراسةً تداوليةً.

مشكلة الدراسة:

يُعَد المنهج التداولي حلاً لبعض المشكلات من وجهة نظر كلٍّ من المرسِل والمرسَل إليه؛ فالمرسِل يبحث عن أفضل طريقة لإنتاج خطاب يؤثِّر في المرسَل إليه، كما أن المرسَل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسِل كما أرادَها عند إنتاج خطابه لحظةَ التلفُّظ به، وهذه الإجراءات تتبلْوَر عبر تقدير ذهنيٍّ عامٍّ ومحتمَل وَفقًا لعناصر السياق[١].

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع، ومن ثم وجب الكشف عن أطراف التواصل التي اهتم بها السهيلي، سواء في المسائل اللغوية والنحوية التي عرضها مباشرةً، أو من خلال تناوله الآيات القرآنية التي فسَّرَها، أو الأحاديث النبويَّة أو الأشعار التي استشهد بها، وغير ذلك مما ورد في كتبه، ثم الكشف عن مقاصد الخطاب، وعن جانب مهمٍّ من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية عنده.

وتأسيسًا على ما سبق تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما ملامح الفكر التداولي عند السهيلي؟

يتفرَّع عنه الأسئلة التالية:

١- ما ملامح الفكر التداولي عند السهيلي فيما يتعلَّق بالمتكلِّم وقصده؟

٢- ما ملامح الفكر التداولي عند السهيلي فيما يتعلَّق بالمتلقِّي والطرق التي يكشف بها عن المعنى؟

٣- ما ملامح الفكر التداولي عند السهيلي فيما يتعلَّق بالسياق والاستعمال؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- إبراز جهود أحد علماء المسلمين في البحث التداولي في الدرس اللغوي، وإبراز عمق تفكيره، وسبقه لعلماء اللغة المحدَثين.

١) انظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٤.

– كشف ملامح الفكر التداولي عند الإمام السهيلي من خلال كتبه: نتائج الفكر، والروض الأنف، والفرائض وشرح آيات الوصية، وأمالي السهيلي.

– إثبات أن السهيلي كان على وعيٍ بالوظيفة التداولية للغة، وأنها تتخطَّى كونَها أداة تفكير إلى وظيفتها في التأثير في العالم وصناعته، على النحو الذي رآه الفيلسوف (أوستين)[١].

– التأكد من أن السهيلي تجاوز الإطار الشكلي في بناء الجملة، واعتنى بما وراء الجملة فاهتم بالمعاني التداولية.

– تحليل بعض التراكيب النحوية المتداوَلة في كتب السهيلي، وإرجاعها إلى عناصر الخطاب في ضوء المدخل التداولي.

– بيان مقاصد المتكلِّم من كلامه، ووسائل المخاطَب في فهم المعنى، ودور السياق في توضيح المعنى التداولي وفي التوجيه الإعرابي للكلمة.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة تناولت فكر السهيلي بشكل عام؛ فمنها ما تناولَ الفكرَ اللغويَّ الخاص بالسهيلي، وركَّزَ على الجانب النحويِّ فقط، وقارَنَ فكرَ السهيلي بفكر مَن سبقه، بالإضافة إلى أن هذه الدراسات السابقة ركَّزَت على كتاب معيَّن من كتبه[٢].

أما فيما يتعلَّق بملامح التداولية عند السهيلي فلم أجد إلاَّ مقالاً بحثيًّا واحدًا:

* التحليل التداولي وبناء المعنى من خلال كتاب (نتائج الفكر) لأبي القاسم السهيلي، الكاتب: مصطفى أنكزدم[٣]، وهو مقال قصير، به بعض الإشارات عن التحليل التداولي عند السهيلي في كتاب (نتائج الفكر).

---

١) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٢٢.

٢) بمطالعة أيٍّ من محركات البحث العلمية على شبكة الإنترنت (المنظومة مثلاً) نجد عددًا غير قليل من الدراسات من هذا النوع، منها:

١- السهيلي وكتابه (الروض الأنف): دراسة نحوية صرفية، رسالة دكتوراه من إعداد الباحث: الشريف عثمان البشير بابكر، إشراف: أ.د/ عبدالرحيم سفيان حامد، كلية اللغات – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٩م، هدفت هذه الرسالة إلى بيان آراء السهيلي الجديدة في النحو والصرف.

٢- تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه (نتائج الفكر في النحو) في ضوء علم اللغة الحديث: دراسة تحليلية تأصيلية، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة: ويزة أعراب، كلية الآداب واللغات – جامعة معمري، الجزائر، ٢٠١٢م، هدفت هذه الرسالة تقريب الدرس النحوي العربي من عصرنا، وتعرُّف التراث العربي ومدى مقاربته للفكر اللغوي المعاصر من خلال كتاب (نتائج الفكر في النحو)، ودراسة المسائل في ضوء الدرس اللغوي الحديث، وقد لاحظتُ أنّ المقارنة في هذه الرسالة كانت بين آراء السهيلي وبين أيٍّ من علماء التداولية.

٣- الإمام السهيلي ومنهجه النحوي، من إعداد الباحثة: إحسان حسن صالح عبدالرحمن، إشراف: أ.د/ بكري محمد الحاج، ٢٠٠٩م، هدفت هذه الرسالة إلى الكشف عن شخصية السهيلي، وبيان مذهبه الذي اختطه لنفسه، وأخذه من مدرستي الكوفة والبصرة، بما يراه مناسبًا لمنهجه المتفرِّد، واستعماله مصطلحاتٍ نحويةً خاصَّة به.

٤- مسائل النحو والصرف في (أمالي السهيلي): عرض وتحليل، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة: غادة محمد أحمد أحمد نصر، إشراف: أ.د/ عبدالله محمد آدم أبو نظيفة، كلية اللغة العربية – جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، ٢٠٠٣م، هدفت هذه الرسالة إلى عرض وتحليل المسائل النحوية والصرفية في كتاب (أمالي السهيلي)، وبيان آراء العلماء فيها، ومعرفة آراء السهيلي في تناوله للمسائل، وهل خالف العلماء القدماء الأفذاذ منهم أو لا؟

٣) انظر: التحليل التداولي وبناء المعنى من خلال كتاب نتائج الفكر لأبي القاسم السهيلي، مصطفى أنكزدم، مقال منشور على موقع (أنفاس نت: من أجل الثقافة والإنسان) على الرابط التالي:

https://www.anfasse.org/٢٠١٠-١٢-٣٠-١٦-٠٤-١٣/٦٤٤٠

تاريخ آخر زيارة: ٠٩:٠٠ AM – ٢٧/١١/٢٠٢١.

وتتقدَّم هذه الدراسة عن هذا المقال بخطوات؛ فهي تُعنَى بدراسة ملامح الفكر التداولي عند السهيلي من خلال كتب متعدِّدة وليس كتابًا واحدًا، كما أنها أوسع منه وأكثر عمقًا في تناول الموضوعات.

مصطلحات الدراسة:

التداولية:

تدور (التداولية) بمعناها اللغوي حول معاني الانتقال والمداولة والتحوُّل؛ يقول تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"[١]: أيْ: «نصرِّفها بينهم فنُديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء تارة أخرى، كما وقع ذلك يوم بدر ويوم أحد»[٢].

وتداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، ويقال: تداولنا العمل والأمرَ بيننا، بمعنى: تعاورنا، فعمل هذا مرَّة وهذا مرَّة؛ والتداول من (دال)، أي: دار[٣].

فالتداولية لغة لا تكاد تخرُج في دلالاتها عن معاني التحول والتبادل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر، أو من حال إلى حال أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف يشترك في فعل التبادل والتناقل، وتلك حال اللغة متحولة من متكلِّم إلى مستمع ومنتقلة بين الناس يتداولونها بينهم[٤].

ومصطلح (التداولية) من المصطلحات التي ركز عليها اللغويون خاصة في أوائل السبعينات من القرن الماضي، وتعدَّدَت تعريفات التداولية بسبب تداخلها مع علوم أخرى واتساع مجالاتها[٥].

والتداولية هي الترجمة الأفضل للمصطلح الأجنبي Paragmatics؛

والتداولية ترجمة للمصطلح الأجنبي (pragmatics)، ولكن يُعبَّر عنها بمقابلات اصطلاحية أخرى مثل: البراجماتية، والذرائعية، والنفعية، والتخاطبية، والوظيفية، والاستعمالية، والتبادلية، وغير ذلك، ولكن الذائع والمشهور في الوسط اللغوي أو في علم اللسانيات هو (التداولية)؛ لأنه يحيل إلى التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفِّظة من جهة أخرى[٦]، وهذا المصطلح يرجع إلى الفيلسوف

---

١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ٤/ ٦٨.

٣) انظر: مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ١/ ٣٤٠، ولسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١١/ ٢٥٣، والكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ١/ ٩١٧، وتاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ٢٨/ ٥٠٧.

٤) انظر: محاضرات في الاتجاهات الحديثة والدرس النحوي، مصطفى أحمد عبدالعليم، مطبوعات كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، الجيزة، د.ت، ص٦٥.

٥) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الشاطبي، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص١١.

٦) انظر: التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، مكتبة المثقف، بغداد، ط١، ٢٠١٥م، ص٦.

(موريس)، وقد عرَّفها بأنها جزء من السيمائية (سيموطيقا) تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي العلامات[١].

تُعَد التداولية أحد قسمَي النظريات اللسانية المعاصرة؛ إذ يمكن تقسيم تلك النظريات انطلاقًا من تحديدها لوظيفة اللغة الطبيعية إلى قسمين: نظريات لسانية صورية، وأخرى وظيفية تداولية؛ **فالاتجاه الأول** يضم جميع النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات أنساقا مجردة، وأبرزها البنيوية التي ترى أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاتها، فيعرف علم اللغة البنيوي بأنه أي دراسة لغوية لأية لغة على أنها نظام مستقل من الخصائص الصوتية والتركيبية تدرس من أجل ذاتها[٢]، أما **الاتجاه الثاني** فهو الاتجاه التداولي، وهو التيار الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، حيث يعتمد على مبدأ أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها ظروف استعمالها[٣].

وقد عبَّر الدكتور تمام حسان عن التداولية أو عن السياق الخارجي خاصَّة باسم (الماجريات)، يقول: «كل ما يقال يدل على ما سيقال، وهذا نوع من أنواع الماجريات، فهناك قوة إيجابية فيما تقوله في موقف معين، وقوة سلبية في استخراج الحوادث والظروف إلى الموقف الذي تستخدم فيه الكلمات، وسنجد في المحادثة مفتاح الفهم الحقيقي لطبيعة اللغة وكيف تؤدي وظيفتها»[٤]، فهو –كما يبدو– يتحدث عن وظيفة اللغة وعن السياق أو الموقف وما فيه من دلائل أو مفاتيح تدل على المراد.

أما حدُّ التداولية فهو الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية[٥]، أو أنها دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية[٦].

ويعرفها الدكتور مسعود صحراوي بأسلوب آخر –أراه أوضح– بأنها دراسة استعمال اللغة في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا، صادرا من متكلم محدد، موجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدَّد[٧].

---

١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٩٧.

٢) انظر: علم اللغة الحديث، محمد حسن عبدالعزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م، ص٢١٤.

٣) انظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٥م، ص٧.

٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢٦٨.

٥) انظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م، ص١٥.

٦) انظر: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، محمد السيد أبو حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٥.

٧) انظر: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٧.

ومعني هذا أنه من الممكن القول بأن التداولية تعتمد على توضيح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية[١]، وهذا ما يؤكده الدكتور محمود نحلة – من أن صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلِّم والسامع في سياق مادي واجتماعي ولغوي[٢]، ويؤكِّده أيضًا الدكتور صلاح فضل؛ إذ يرى أن معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الخطاب والمعرفية المشتركة بين المخاطَبين والوقائع الخارجية، كالظروف المكانية والزمانية والعلاقات الاجتماعية، كل ذلك من أهم ما تركز عليه التداولية[٣].

فهناك علاقات مختلفة بين المتكلِّم والمخاطَب، يعتمد عليها الطرفان لإنجاز المراد؛ فالمتكلم قد يكون مماثلا أو مخالفا للمخاطب في المستوى والدرجة والثقافة أو غير ذلك، فيختلف تفسير الكلام في كل حال عن الأخرى.

وأهم ما تتميز به التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغويِّ[٤]:

– أنها تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، وموضع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال.

– أنها لا تحتوي على وحدات تحليل خاصَّة بها، ولا موضوعات مترابطة.

– أنها تدرس اللغة من جهة وظيفيَّة عامة (معرفية، واجتماعية، وثقافية).

– أنها نقطة التقاء العلوم ذات الصلة باللغة.

– أنها تعنى بالعلاقة بين التركيب والمقام.

ومجالات الاهتمام في الاتجاه التداولي هي: دراسة القيمة الفعلية للعبارة، وتعرُّف مقاصد المتكلِّمين، ومقبولية المتلقِّين، ودراسة أثر السياق والمقام التداولي، وكذلك العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المخاطَبون وما ينتج عن هذه العمليات من معانٍ ودلالات.

علاقة التداولية بالنصِّيَّة[٥]:

إنَّ النص سلسلة من الوحدات اللغوية المنطوقة أو المكتوبة المكوِّنة لوحدة تواصلية[٦]، والنص المتماسك هدفه تحقيق الهدف التواصلي بين المتكلم والمخاطَب، وهو ما تسعى إليه اللسانيات التداولية؛ لأن التواصل معناه أن القائم استطاع نقل أو تبليغ ما

---

١) انظر: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص٥.

٢) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٧.

٣) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص٩٩.

٤) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٤، والملمح التداولي في النحو العربي: تحليل واستنتاج، نعمة فرحان الطائي، جامعة بغداد، ع(٨)، محرم ١٤٣٥هـ / كانون الأول، ٢٠١٣م، ص٤٥٧.

٥) ذلك أنَّ القصدية والمقبولية معياران مهمَّان من معايير التماسك النصِّي، وهما متطلَّبان من متطلَّبات التداولية.

٦) انظر: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص١٧.

أراده إلى السامع بنجاح، وقد كانت اللسانيات تتعامل مع الجملة دراسة وتحليلاً، سواء أكان ذلك من منظور البنية السويسرية أم من منظور البنية الوظيفية أم من منظور التوليدية التحويلية، أما المقاربة التداولية فإنها تتجاوز حدود الجملة لدراسة الخطاب والنص[١].

ومعنى هذا أن التداولية تهتم بالسياق، ولا تعتمد على الجملة الواحدة في تحقيق التواصل، فالاتفاق في الهدف بين علم النص والتداولية جليٌّ وواضح، وإن اختلفنا في الوقوف على وسائل الإفهام، مع انفراد التداولية بالتركيز على نقطة إنجاز المتلقي بالمطلوب.

لذلك يرى بعض الباحثين أنَّ الحديث عن الأبعاد التداولية لا يبعد عن معايير تماسك النص؛ فعند الوقوف على معياري المقصدية والمقبولية نجد أنهما «معياران لهما صلة وثيقة بمستعملي النص»[٢]، وليس غريبًا أن يكون (السبك) و(الحبك) تابعَيْن للقصدية؛ إذ على المتكلِّم أن يجيد بناء تراكيبه كي يصل الكلام إلى مخاطبه مفهومًا واضحًا، ومعلوم أن دور المستقبل أو المخاطَب من أهم ما تراعيه التداولية؛ فتحقُّق التماسك النصي يؤدِّي إلى وصول المعنى واضحًا إلى المخاطَب كي ينجز المطلوب، وأما (الإعلامية) وتختص بما يحتويه النص من معلومات أضافها إلينا المتكلِّم، ونجد التداولية كذلك تعتمد كثيرًا على (متضمنة القول) في تحقيق المراد، والسامع يتلقى هذه المعلومات إذا كان محيطًا بالسياق التي وردت فيه بكل جوانبه، وبالتالي تحقق وجود معياري (الإعلامية) و(المقامية) أيضًا.

وفي إطار تماسك النص يرى الدكتور سعيد بحيري أنَّ بنية النص معقدة، تحتاج إلى النحو والدلالة والتداولية؛ لأن النحو يُعنَى بتوضيح الشروط والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال، وتعنى الدلالة بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة، أما التداولية فتعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، وتعنى كذلك بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول وتقنيات المواقف الخاصة به، وكذلك تعني بالشروط اللازمة لكى تكون الأقوال اللغوية مقبولة وملائمة للموقف التواصلي، وبإيجاز يمكن القول بأنها تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمه[٣]؛ ولذا فلا غرو أن يجمع علم النص شتات هذه الجزئيات المبعثرة، وهي النحو والدلالة والتداولية.

---

١) انظر: التداوليات وتحليل الخطاب، ص١٣.

٢) المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، دار النابغة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٦١.

٣) انظر: علم لغة النص، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٣٦.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي، ومن أهم أدواته (التحليل)، مع توظيف الاتجاه التداولي الذي يعنى بالاستخدام اللغوي والضوابط التي تحكمه ودور المقام أو السياق غير اللغوي في التواصل الإنساني.

مادَّة الدراسة:

للوصول إلى أهداف الدراسة، كان ينبغي الاعتماد على ما كتبه السهيلي؛ لذلك اخترنا أن نعتمد في هذه الدراسة على أربعة كتب مهمَّة للسهيلي:

١- الرَّوْض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المحقِّق: عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٢- نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣- الفرائض وشرح آيات الوصيَّة، المحقق: د. محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٤- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة بمصر، د.ت.

محاور الدراسة:

اقتضَت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في ثلاثة محاور:

المحور الأول: قصدية المتكلم في الألفاظ والتراكيب وطرق الحجاج عند السهيلي.

المحور الثاني: وسائل مقبولية المتلقي في الألفاظ والإشارات والافتراضات عند السهيلي.

المحور الثالث: السياق وأفعال الكلام.

المحور الأول: قصدية المتكلِّم في الألفاظ والتراكيب وطرق الحجاج عند السهيلي

أولاً: قصدية المتكلِّم في الألفاظ والتراكيب:

لكلِّ منشئ نصٍّ غايةٌ يسعى لتحقيقها من هذا النصِّ، فلا يوجد نصٌّ بدون مَقصِد؛ فلا يتكلَّم المتكلِّم مع غيره مثلاً بدون قَصْد[١]، فالقصديَّة تعني «جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها»[٢].

وهذا يعني أن القصديَّة وسيلة من وسائل أخرى عديدة يستعملها منشئ النص من أجل تحقيق مُرادِه، مما يؤكد أن عنصري السبك والحبك، يوجههما -باستمرار- قصدُ المرسل لهدف محدَّد، وهو التأثير في متلقٍّ بعينه في ظروف معينة[٣]، حتى إنَّ دي بوجراند يرى أنَّ احتواء النص على خلل في سبكه أو حبكه لا يؤدي إلى فقدان النص للمقبوليَّة إذا كان الخلل الحادث يتجه إلى قصد معيَّن، ومعنى هذا أن للقصد تأثيرًا في بنية النص وأسلوبه؛ لذلك فإنَّ المنشئَ يبني نصه بناءً معينًا، ويختار لذلك وسائل لغوية ملائمة بما يضمن تحقيق مراده.

وكأنَّ دي بوجراند يرى أن القصديَّة في أيِّ نص تتحقق من المتكلم، سواء تحقَّقَت بشكل كامل أو ضعُفَت في بعض الأحيان، وسواء كان النص معها مسبوكًا محبوكًا أو لا يتوافر فيه عنصرَا السبكِ والحبك بشكل كامل؛ فهي معيار مستقل عن السبك والحبك.

وكان (ميخائيل باختين) يرى أن النص يتحدَّد بعاملين يجعلان منه نصًّا: النية (العزم)، وتنفيذ هذه النية، وهما يتفاعلان بشكل ديناميكي[٤].

إنَّ مفهوم القصد يمثل جزءًا أساسيًّا من تداولية الخطاب، سواء أكان هذا في الفكر التراثي العربي أم الفكر اللغوي الحديث[٥].

وقد ورد (القصد) في البلاغة العربية على ألفاظ كثيرة، منها: الغرض، والفائدة، والمراد، والحاجة، والمقصد[٦]، بل رأى بعض الباحثين أن لفظ (البلاغة) يعني (المقصد)، وبذلك يكون (علم البلاغة) عندهم هو (علم المقاصد)[٧].

---

١) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٨٩.

٢) علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص٢٨، وانظر: نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٣١.

٣) انظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص٢٨.

٤) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

٥) انظر: القارئ والنص، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر الكويتية، مج(٢٣)، ع(٣-٤)، ١٩٩٥م، ص٢٧٧.

٦) انظر: أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عقيل عبدالزهرة مبدر، رسالة ماجستير بجامعة الكوفة، ٢٠١٢م، ص١٣٢.

٧) انظر: اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م، ص١١.

ويوضح عبدالقاهر أهمية القصد بقوله: «وكان مما يُعْلم ببدائه المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضًا؛ ليعرفَ السامع غرضَ المتكلم ومقصودة»[١]، وكذلك أكد أهمية القصد وعلاقته بالألفاظ والمعاني بقوله: «وأمر (النظم)، في أنه ليس شيئا غير توخٍّي معاني النحو فيما بين الكَلِم، وأنك تُرتب المعاني، أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»[٢]، وهنا يرى عبدالقاهر من أنه لابد من معرفة غرض المتكلم وقصده؛ ومن ثم يتم تحديد وظيفة الألفاظ في النطق.

إن قصديَّة المتكلم تعني كل تلك الأمور النفسية والاجتماعية التي تؤثر في هندسة تعبير المتكلِّم وبناء نصِّه وتحقيق وظائفه.

ولعل جوهر البلاغة العربية يكمن في تلك العلاقة الحميمة بين النص وصاحبه، فالمتكلِّم قد تتوافر عنده قدرة على تأليف كلام خال من اللحن والعجمة، ويمتلك بضاعة معجمية غير مزجاة، لكن تخونه معرفة الأبعاد السياقية للكلمة؛ يقول ابن الأثير: «إذا كان حسن التأليف لا يؤاتيك، ولا تصل قدرتك إليه وتجد اللفظة لا تقع موقعها، ولا تصير إلى مركزها، ولا تتصل بسلكها، وكانت قلقة في مكانها نافرةً عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير مواطنها، فإنك إن لم تتعاط صناعة التأليف من المنظوم والمنثور لم يعبك على ذلك أحد»[٣]، كون المعطيات السابقة المتعلقة بترابط وحدات النص تركيبيا ودلاليا ومنطقيا تبقى في حاجة ماسَّة إلى السياق غير اللغوي.

لقد احتلَّ المتكلِّم حيِّزًا كبيرًا من اهتمام السهيلي، برز ذلك في كلامه عن قصد المتكلِّم في اختيار الألفاظ التي ينطق بها لإعلام المخاطَب بشيءٍ ما؛ ومن خلال احتجاج المتكلِّم على المخاطَب، وأيضًا من خلال اهتمامه بتوضيح القصدِ من الكلام:

ففي **مسألة الفعل بعد الجوازم**، يقول السهيلي: «وفائدة أخرى، وهي أن الداعي قد يضمِّن دعاءه القصد إلى إعلام السامع، وإعلام المخاطَب بأنه داع، فجاء اللفظ بلفظ الخبر إشعارًا بما تضمَّنه من معنى الإخبار، تقول: (أعزَّكَ الله وأبقاك)، و(أكرم الله زيدًا)، و(لا رحم فلانًا)، جمعت بين الدعاء والإخبار بأنك داع، ويوضح ذلك ويبيِّنه أنك لا تقول ذلك في حال مناجاتك مولاك وسؤالِك إياه لنفسك أو لغيرك؛ حيث لا أحد يسمعك أو يراك، لا تقول: (رحمني رب)»[٤].

---

١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني تعليق: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥٣٠.

٢) السابق، ص٤٥٤.

٣) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٥هـ، ص٢٣.

٤) نتائج الفكر في النحو، ص١٣٤.

فالسهيلي يتجاوز هنا البحث التركيبي والبحث الدلالي، ويتطرَّق إلى البحث التداولي من خلال تعرُّضه لمراعاة المتكلِّم للمعنى الاستعمالي، واهتمامه بالمعنى المراد داخل السياق بين متكلِّم بعينه ومتلقٍّ بعينه، واختلاف المنطوق تبعًا لمراعاة المعنى التداولي، وبين السهيلي أن المتكلِّم يعتمد على فهم المخاطَب؛ وأن فهم المخاطَب يؤثِّر على استعمال اللغة، يقول السهيلي: «فلو فهم منها الذي قالوه لقال في تسبيحه: (سبحان اسم ربي)، ولم يقل ذلك قط، ولا رُوِي عنه، على كثرة تسبيحه لمولاه»(١).

وفي **مسألة التقديم والتأخير**، يقول السهيلي: «وقوله: "مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ" (٢)، فإن قيل: لم بدأ الله بالوصية قبل ذكر الدين؟ قلنا: في حكم البلاغة أن يقدِّم ما يجب الاعتناء بشرحه وبيانه وأداء الدين معلوم وأمره بين لأنه حق للغرماء ومنعهم منه ظلم ظاهر فبدأ بما يحتاج إلى بيانه.. ووجه آخر وهو أن الوصية طاعة وخير وبرٌّ يفعله الميت، والدين إنما هو لمنفعة نفسه، وهو مذموم في غالب أحواله، وقد تعوَّذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والدين فبدأ بالأفضل»(٣).

إنَّ **تحديد قصد الشارع** وتبيين معنى ورود كلامه مسألةٌ أساسية في علم الأصول ألقَت بظلالها على فكر السهيلي الذي انشغل بدوره بالمعنى، وحاول تسخير آليات عدَّة لبلوغه واستحضاره في جل الجوانب المتعلقة بالتحليل اللغوي عمومًا والنحوي خصوصًا، غير أنَّ حديث السهيلي عن المعنى غالبًا ما يحضر إلى جانبه اللفظ، وذلك أن المتكلِّم المعبِّر عن القصد يلزمه استعمال لفظ لذلك، ولعل هذا ما يفسِّر ارتباط اللفظ بالمعنى عند السهيلي(٤)، وهي ثنائية تحضر بشكل قوي في معظم تعليلاته اللغوية والنحوية.

يقول السهيلي: «فما خلق الله – تعالى – الأجسادَ في صفاتها المحسوسة إلاَّ مطابِقةً للأرواح في صفاتها المعقولة، ولا وَضَعَ الألفاظَ في لسان آدم عليه السلام وذريته إلا موازنة للمعاني التي هي أرواحها، فهذا سر (الواو) في اختصاصها بالجمع لمَن يعقل، وعلى نحو ذلك خُصَّت بالعطف؛ لأنه جمع في معناه، وبالقسَم لأنَّ واوه في معنى واو العطف»(٥).

وقد تنبَّه السهيلي إلى الجانب التواصُلي للغة؛ فلا يوجد كلام أصلاً إلاَّ منطوقًا في سياق تواصلي اجتماعي، وهو هنا يلتقي مع النحاة العرب في اشتراطهم حول الفائدة في الكلام، فمن المعلوم أن الفائدة تحصل بوجوه مختلفة من التراكيب وبكيفيات متفاوتة من التلفُّظ(٦).

---

١) السابق، ص٣٤.

٢) سورة النساء، الآية: ١١.

٣) الفرائض وشرح آيات الوصية، السهيلي، المحقق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١/ ٤٩.

٤) انظر: التحليل التداولي وبناء المعنى من خلال كتاب نتائج الفكر لأبي القاسم السهيلي، مصطفى أنكزدم، مقال سابق.

٥) نتائج الفكر في النحو، ص٨٣.

٦) انظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص٦.

يقول السهيلي في تعليق له على أقوال النحاة بشأن (سواء على) في قوله تعالى: "سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ"[١]، و"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ"[٢]: «العرب لم تنطق بمثل هذا في (سواء) حتى قرنته بالضمير المجرور بـ(على)، نحو: (سواء عليهم) و(سواء عليَّ أقمْتَ أم قعَدْتَ)، ولا يقولون: (سيان أقمت أم قعدت)، ولا (مثلان) ولا (شبهان)، ولا يقولون ذلك إلاَّ في (سواء) مع المجرور بـ(على)؛ **فوجب البحث عن السرِّ في ذلك، وعن مقصد القوم في هذا الكلام**»[٣].

كما أكثر السهيلي من الألفاظ التي تدل على مراعاة قصد المتكلِّم، والاستدلال على المعنى غير المنطوقة للنص، وذلك عبر الربط بين اللغة والاستعمال؛ وذلك بغرض الكشف عن قصد المتكلِّم وأهميته في بيان المعنى التداولي، ومن هذه التعبيرات: يريدون[٤]، وقالوا[٥]، ويقولون[٦]، وأراد، وقد أكثر من هذا الفعل الأخير في المواضع التي خرج فيها الاستعمال عن الأصل؛ إذ يعتمد على مهارة المخاطَب في استخراج قصد المتكلِّم[٧].

وهكذا يرى التداوليون أن معرفة دلالة الكلام تستلزم معرفةَ مقاصد المتكلِّمين؛ فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلَّق بالقواعد والاتفاقات المتواضَع عليها، غير أن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والاتفاقات لا يمكن أن تُفهَم في آخر الأمر إلا بالرُّجوع إلى مصطلح قصدية التواصل[٨].

من هنا يلتقي فكر السهيلي مع أصحاب الاتجاه التداولي في التأكيد على أهمية قصد مؤلِّف الكلام، وهذا الاتجاه الذي تجاوز البنيوية والتي تمادت في البنية الشكلية للألفاظ حتى أعلنت أخيرًا موت المؤلف وقصده[٩].

ثانيًا: طرق الحجاج عند السهيلي:

إن أساس الحجاج في منظور بعض الاتجاهات التداولية هو الحوارية، وما تتطلَّبُه من عمليات حجاجية تتنوَّع وتتباين تقنيًّا بتنوُّع أنماط التحاور، ومراتب الحوارية[١٠].

وظهرت سمة الحجاج عند السهيلي – بوصفها إحدى أهم المباحث التداولية – في اعتماده على الأسئلة والأجوبة، وهي نقطة بدء الحوار ومدخل للحجاج، وظهرت أيضًا

١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٣.
٢) سورة يس، الآية: ١٠.
٣) نتائج الفكر في النحو، ص٣٣٠-٣٣١.
٤) انظر: السابق، ص٢٦٢.
٥) انظر: السابق، ص٦١.
٦) انظر: السابق، ص٣١.
٧) انظر: التداولية عند ابن جني: دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خرجي أقسام اللغات الشرقية، بالجامعات المصرية، مصر، ع(٣٩)، ٢٠٠٧م، ص٢٥٨.
٨) انظر: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وشاف ودوميت، ترجمة وتعليق: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٧٩.
٩) انظر: الأبعاد التداولية عند الأصوليين: مدرسة النجف الحديثة أنموذجًا، فضاء ذياب غليم الحسناوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص١٢٠.
١٠) انظر: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي: تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنون أنموذجًا، الباحث: عبدالرحمن بشلاغم، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بلقايد، الجزائر، العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤م، ص٥١.

باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه، تحسبًا لأيِّ اعتراضات قد يواجه بها خطابه، ومن ذلك حججه التي من قبيل: قال، قلت، قلنا، فإن قيل، وطيف لا يكون كذا، وذلك نحو قوله: «فإن قيل: كيف لم يخافوا اللبس كما خافوه في النهي»[١]، وكذلك قوله: «وفي الحقيقة إضافة الشيء إلى نفسه محال، لا بد أن يكون المضاف غير المضاف إليه، ولكن الصفة أفادت معنى ليس في الموصوف، فصِرْت كأنك تضيف إلى ذلك المعنى، وفي اللقب إنما تضيف المسمَّى إلى الاسم الثاني، وهو اللقب، فمعنى (زيد بطة)، أي: صاحب هذا اللقب»[٢].

من الملاحظ أنه يلجأ إلى التأكيد والشرح ليقنع المخاطَب، كما يلاحظ أن السهيلي يجعل حجاجه ضمن الثوابت العرفية، ويستخدم الاستفهام الاستنكاري، وهو آلية من آليات الحجاج اللغوية[٣].

يقول السهيلي: «فضمير الفاعل المستتر في الفعل كيف يصح استتاره فيه والفعل كلمة مؤتلفة من حروف والحروف أعراض في اللسان أجزاء من الصوت لا يستتر فيها شيءٌ ولا يظهر إذ ليست بجسم؟! فالجواب: إن أكثر ألفاظ النحويين محمولة على التجاوُز والتسامح، لا على الحقيقة»[٤].

ومثال احتجاجه بمراعاة الثوابت الشرعية والعرفية، قوله: «وكذلك قوله تعالى: "وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا"[٥]، كأنه يقول: (هو ذلك الحق)؛ لأن الحق قديم ومعروف بالعقول والكتب المتقدِّمة؛ فلما أشار نبَّهَت الإشارة على العامل في الحال»[٦].

المحور الثاني: مقبولية المخاطَب ووسائلها عند السهيلي

أولاً: مقبولية المخاطَب:

المقبوليَّة هي «موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»[٧].

ويرى كل من (دي بوجراند) و(دريسلر) أن المراد بالمقبوليَّة «تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضامًّا متقارنًا ذا نفع للمستقبِل أو ذا صلة به»[٨]؛ فالنص متعلق بنظرة المستقبِل أو المتلقي إليه وبموقفه مما تضمنه من صور اللغة التي ينبغي أن

---

١) نتائج الفكر في النحو، ص١١٢.

٢) السابق، ص٢٨–٢٩، وانظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، المحقق: عمر عبدالسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٣/ ١٨٠.

٣) انظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص٤٦٥.

٤) نتائج الفكر في النحو، ص١٢٧.

٥) سورة البقرة، الآية: ٩١.

٦) نتائج الفكر في النحو، ص٣٠٦.

٧) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بورجراند، ترجمة: تمام حسان عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٠٤.

٨) مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بو جراند وولفجانج دريسلر، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد، دار الكاتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٢.

تتميز بموافقة القواعد النحوية عمومًا؛ حتى يتمكن هذا المتلقي من فهم هذا النص والانصهار في معانيه.

ويرى بعض الباحثين أن قبول المخاطَب للنص يَحدُث بِتَدَرُّجٍ مِن مستوى النطق أو الكتابة، ثم إلى مستوى اختيار المفردة وتآلفها مع جيرانها من الكلمات وتآلفها مع المعرفة اللغوية لدى المتلقي، ثم إلى مستوى الجملة وطريقة تركيبها أفقيًّا ورأسيًّا، ثم يتعدَّى ذلك إلى مستوى النص إجمالاً[١]، كما أنَّ المقبوليَّة تستجيب لعوامل متنوِّعة مثل: نوع النص، والمقام (الثقافي، والاجتماعي)، ومرغوبية أهداف هذا النص[٢].

إن مقبوليَّة المخاطَب تَعنِي كلَّ تلك الأمور النفسية والاجتماعية التي توجِّه أو تؤثِّر في قبوله أو رفضه لنصٍّ ما؛ مما دفع البلاغيين العرب للاهتمام بمقبوليَّة المخاطَب في وقت مبكر من نشاطهم البلاغي والنقدي، ويأتي اهتمام البلاغيين من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسِهم منذ العصر الجاهليِّ بأن يقع كلامُهم موقع القبول من السامع، وفي مصنفات القدماء إشارات كثيرة لهذا تدلُّ على درايتهم به وفطنتم إليه وعنايتهم به، ومنها: التنقيح والتهذيب[٣]، والعناية بالابتداء والاحتراز من التطير[٤]، والوقوف على الأطلال والنسيب[٥].

العوامل المؤثرة في مقبولية المخاطَب:

حاول بعض الباحثين اللغويين جمع العوامل المؤثرة في مقبولية المخاطَب على النحو التالي: معرفة هذا المخاطَب بنوع النص، ومَن أنتَجَه، وقصد هذا المنتِج، أي: دلالة النص العامة التي وسمها (فان دايك) بـ(البنية الكبرى)، ومدى أهمية النص بالنسبة إلى المخاطَب ذاته، والخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي يتمتع بها هذا المخاطَب، والخصائص النفسية التي يتمتَّع بها المتلقي؛ ذلك بأنَّ الحالة النفسية تؤثِّر في الحالة الذهنيَّة[٦].

وفي البلاغة العربية يستجيب القبول إلى خبرةِ المتلقي وثقافته وذوقه وتوجُّهه، بالإضافة إلى المقام الذي يقال فيه، وقد ركَّز النقاد والبلاغيون على ثلاثة مبادئ يجب أن

---

١) انظر: الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور نموذجًا، الباحثة: نوال لخلف، رسالة دكتوراه بكلية الآداب واللغات – جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٧م، ص٤٦.

٢) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣١.

٣) انظر مثلاً: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج(٢)، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٣-١٤، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ج(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٣٦، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تحقيق: حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٠٢، والشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج(١)، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، ص٩٣، وعيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٩.

٤) انظر مثلاً: عيار الشعر، ص١٢٢-١٢٣، والعمدة، ١/ ٢٢٥.

٥) انظر مثلاً: الشعر والشعراء، ١/ ٢٠، والعمدة، ١/ ٢٣١.

٦) انظر: نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٥٥-٥٦.

تتوافر في البنى التركيبية المكونة لأيِّ نص، وهذه المبادئ هي التي تكسبه القبول أو المقبوليَّة عند المتلقي، وهي[١]:

١- الابتعاد عن ضعف التأليف، أي: الابتعاد عن مخالفة أحكام اللغة والنحو التي تؤدِّي إلى إيهام المعنى وتعقيده، وهذا ما أكده عبدالقاهر بقوله: «فلست بواجد شيئًا يرجع صوابه إن كان صوابًا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلاَّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلامًا قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»[٢].

٢- الابتعاد عن التعقيد؛ فأوضح الجاحظ أهمية الابتعاد عن التعقيد بقوله: «الخطاب (النص) الذي يتصف بالتعقد اللفظي والتواء العبارات وسوء التراكيب واستعمال الوحشي من الكلمات يقود إلى استبهام المعنى، وصعوبة فهمه من المتلقي، فيكون عرضة للرفض والإسقاط»[٣].

٣- الابتعاد عن التنافر؛ فوضَّح عبدالقاهر فساد القول بقوله: «لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان.. حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحًا في نظمه والغرض الذي أريد به، وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى، ويؤلف منها كلامًا، لم ترَ عاقلا يعتدُّ السهولة فيها فضيلة لأن الألفاظ لا تُراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، فإذا عدمت الذي له تُراد أو اختلَّ أمرُها فيه، لم يُعتَدَّ بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغيرُ السهولة فيها واحدًا»[٤].

وقد شغل المخاطَب حيِّزًا أساسيًّا داخل البنية الفكرية لدى السهيلي؛ فهو يؤكِّد على أهمية المخاطَب في البنى التواصلية بين طرفي الخطاب، لذلك ربط بين شبكة متكاملة من العلاقات أو بين وضع الكلام (السياق) وبين كل من المتكلِّم مع المخاطَب[٥].

يقول السهيلي: «اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلِّم يعبِّر للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو بِخَطٍّ، ولولا المخاطَب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلِّم»[٦].

---

١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٥-١٧.

٢) دلائل الإعجاز: ٨٢-٨٣.

٣) البيان والتبيين: ٣٧٨-٣٧٩.

٤) دلائل الإعجاز: ٥٢٢.

٥) انظر: علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، ص١٠٤.

٦) نتائج الفكر في النحو، ص١٧٠.

ويقول في موضع ثانٍ: «لما كان المخاطَب مشاركاً للمتكلِّم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطَب، ولولا المخاطَب ما كان كلام المتكلِّم لفظًا مسموعًا، ولا احتاج إلى التعبير عنه»[١].

ويقول في موضع ثالث: «ولو قدَّرْت الكلامَ صفةً قائمة بنفس الحجر والشجر والصوتَ عبارةً عنه لم يكن بُدٌّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم»[٢].

وسائل المخاطَب في الكشف عن المعنى ومقبوليته عند السهيلي:

تعدَّدَت وسائل المخاطَب في الكشف عن المعنى ومقبوليته عند السهيلي، وهذه الوسائل ورَدَت على نوعَيْن:

النوع الأول: وسائل نصَّ عليها السهيلي صراحةً، ومنها وأهمها (لسان الحال) أو (المقام)، يقول السهيلي: «إن الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة تكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعَقد، والنصب، وهي لسان الحال، **وهي أصدق من لسان المقال**»[٣].

النوع الثاني: وسائل لم ينُصَّ عليها صراحةً، وإنما تُفهَم من خلال مناقشات السهيلي وعباراته، ومنها:

١- اللفظ:

يُعَد اختيار لفظ محدَّد دونَ غيره وسيلةً من وسائل الكشف عن المعنى، وتبدو هذه الوسيلة من خلال حديث السهيلي عن اختيار بعض الألفاظ عن غيرها، وكذلك من خلال تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها حرصًا على المعنى.

كما أنَّ دور المخاطَب يظهر في تأويل بعض الألفاظ المحذوفة بناءً على خبرته ومعرفته وذوقه، من ذلك تعليق السهيلي على قوله تعالى: "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ"[٤]، حيث يقول: «أي: طاعة أمثل، ولم يقل: (مثيلة) ولا (حسنة)؛ لأن النكرة لا يخبر عنها كما تقدَّم إلاَّ على الشروط المذكورة، أو تريد التفضيل فتقول: (تمرة أفضل من كذا) أو (طاعة أفضل)؛ لأنك حين قلت: (أفعل من كذا) عُلِمَ أنك تريد أن تقول: أفضل تمرة لم وأوثر طاعة، ونحو هذا المعنى، فخرجت النكرة عن أن تكون مبتدأ محضًا ومخبرًا عنه حقيقةً، والله تعالى أعلم»[٥].

---

١) السابق، ص١٧٢.
٢) الروض الأنف، ٢/ ٢٥٤.
٣) نتائج الفكر في النحو، ١/ ٩٨.
٤) سورة محمد، الآية: ٢١.
٥) نتائج الفكر في النحو، ص٣١٦.

يظهر في هذا الكلام أنَّ اختيار اللفظ من المتكلِّم كان لمراعاةِ المعنى المطلوب، قابل ذلك معرفة لدى المتلقي مضافًا إليها ذائقة عالية للتفريق بين ما هو صحيح بالنسبة للقواعد، وما يمكن أن يفتح آفاقًا أخرى أمام المعاني المقصودة أيضًا.

٢- الإشارة:

بيَّن السهيلي أهمية الكلمات التي تشير إلى المعنى اعتمادًا على السياق، وقد لجأ السهيلي إلى بيان هذه العلاقة في توجيهه لمسائل تتعلَّق بفكرة العامل.

ففي قوله تعالى: "وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ"[١]، يقول السهيلي: «وهو أن يكون (مصدِّقًا) ههنا حالاً يعمل فيها ما دلت عليه الإشارة المنبئة عنها (الألف واللام)؛ لأن (الألف واللام) قد تنبئ عنه أسماء، وحكى سيبويه: (لمن الدار مفتوحًا بابها؟) فقولك: (مفتوحًا بابها) لا يعمل فيه الاستقرار الذي يتلق به (لمن) لأن ذلك خلاف المعنى المقصود، وتصحيح المعنى (لمَن هذه الدار مفتوحًا بابُها؟) فاستغنى بذكر (الألف واللام)»[٢]، أي: استغنى بذكر الألف واللام عن اسم الإشارة.

والأهم هنا هو دور المخاطَب في فهم هذه الإشارة غير الموجودة في الكلام من خلال ما عنده من معرفة وخبرة لغوية، يقول السهيلي بعد النص السابق مباشرةً: «وعلِمَ المخاطَب أنه – أي: المتكلِّم – مشير، وتنبَّه المخاطَب بالإشارة إلى النظر، وصار ذلك المعنى المنبَّه عليه عاملاً في الحال، وكذلك قوله تعالى: "وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا"[٣]، كأنه يقول: (هو ذلك الحق)؛ لأن الحق قديم ومعروف بالعقول والكتب المتقدِّمة؛ فلما أشار نبَّهَت الإشارة على العامل في الحال»[٤].

ويستند في **مسألة قطع النعت** إلى ملامح تداولية، فيقول: «الاسم إذا كان معروفًا عند المخاطَب، ولم يقصد تمييزه من غيره، لم يكن النعت حينئذ من تمامه، وإنما يقصَد به مدح أو ذم فلم يمتنع القطع من الأول، كما قال سيبويه: سمعت العرب تقول: (الْحَمْدُ للهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ) فسألت يونس عنها فزعم أنها عربية»[٥].

يعني هذا أن السهيلي قد استند إلى معرفة المخاطَب اللغوية وخبرته، كما استند إلى الاستعمال عند العرب، والذي ذكره سيبويه.

قد بيَّن **سبب تقديم الجار والمجرور** مراعاةً لدفع توهُّم المخاطَب، وذلك في قوله: «الاختيار تقديم الاسم المجرور إذا لم يسقط حرف الجر، يجوز التأخير، تقول: (اخترت

---

١) سورة فاطر، الآية: ٣١.

٢) نتائج الفكر في النحو، ص٣٠٦.

٣) سورة فاطر، الآية: ٣١.

٤) نتائج الفكر في النحو، ص٣٠٦.

٥) نتائج الفكر في النحو، ص١٨٥، ونصُّ سيبويه في: الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢/ ٦٣.

من الرجال عشرة)، ولو قدَّمْت العشرة لم يحسُن؛ لأن المخاطَب يتوهَّم أن المجرور في موضع النعت للعشرة، وليس في موضع المفعول الثاني»[١].

٣- الافتراضات المسبقة والتعاون بين طرفي الخطاب:

بيَّن السهيلي العلاقة بين المتكلِّم والمخاطَب وأثر السياق حين يقول: «ثم لما كان المخاطَب مشاركًا للمتكلِّم في معنى الكلام، إذ الكلام مبدؤه من المتكلِّم ومنتهاه عند المخاطَب، ولولا المخاطَب ما كان كلام المتكلِّم لفظًا مسموعًا، ولا احتاج إلى التعبير عنه، فلما اشتركا في المقصود بالكلام وفائدته اشتركا في اللفظ الدال على الاسم الظاهر، وهو (الألف والنون)، وفرِّق بين ضمير المخاطَب وضمير المتكلِّم بـ(التاء) خاصة، فقالوا: (أنتَ)، وخُصَّت (التاء) بذلك لثبوتها علامة الضمير المخاطَب الفاعل في (فعلت) إلا إنها هناك اسم، وفي (أنتَ) لا موضعَ لها من الإعراب»[٢].

ويقول في وقوع (نعَم) موقع (بلى): «إذا ثبتَ هذا فلا يمتنع أن يجاب بـ(نعم) بعد الاستفهام من النفي، (لا) تريد تصديق النفي، ولكن تحقيق الإيجاب الذي في نفس المتكلِّم؛ لأن المتكلِّم إذا قال لمن رآه يشرب الخمر منكرًا عليه: (أليست الخمر حرامًا؟) لم يستفهم في الحقيقة، وإنما أراد تقريره أو توبيخه، وفهم مراده في ذلك بقرينة... فلما فهم مراده وأنه يعتقد التحريم جاز أن يجاب بـ(نعم)، تصديقًا لمعتقده دون التفات إلى لفظ النفي؛ لأنه ليس بنافٍ في الحقيقة»[٣].

والسهيلي هنا يلتقي مع أصحاب النظرية التداولية في مفهومين:

المفهوم الأول: مفهوم الافتراض السابق؛ ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترَف بها ومتفق عليها بينهم، وتشكِّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل[٤].

المفهوم الثاني: مفهوم مبدأ التعاون عند (جرايس) الذي يعني بأن الممارسة اللغوية تقوم على التعاون بين الأطراف لتحقيق العملية التخاطبيَّة التامَّة[٥]، وصاغه (جريس) على النحو الآتي: «ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلَّبُه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه»[٦].

ويوجِّه السهيلي اهتمامه نحو أصول الحوار، فيرى أن المتخاطبين يخضعون ويلتزمون أثناء ممارسة التخاطُب ببعض المبادئ العامة؛ حيث يقول: «لا يتحدث بحديث

---

١) نتائج الفكر في النحو، ص٢٥٥.

٢) السابق، ص١٧٢.

٣) أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت، ص٤٥-٤٦.

٤) انظر: محاضرات في الاتجاهات الحديثة والنحو العربي، ص٨٠-٨١.

٥) انظر: التداوليات وتحليل الخطاب، ص٢٠، ومحاضرات في الاتجاهات الحديثة والنحو العربي، ص٦٩.

٦) التداولية عند العلماء العرب، ص٣٣-٣٤.

حتى يكون عند المتكلِّم إما مظنونًا وإما معلومًا، فإن كان مشكوكًا فيه أو مجهولاً عنده لم يسُغ له الحديث، فمن ثم لم يعلموا (شككت) ولا (جهلت) فيما عملت ظننت وعلمت؛ لأنَّ الشك تردُّد بين أمرين من غير اعتماد على أحدهما، بخلاف الظن فإنك معتمد فيه على أحد الأمرين، وأما العلم فأنت فيه قاطع بأحدهما، ومن ثم تعدَّى الشك بحرف (في)؛ لأنه مستعار من (شككت الحائط بالمسمار)»[١].

والسهيلي هنا يلتقي في مبدأ التعاون مع التداوليين، والقاعدة الفرعية التي أسَّسها جرايس كذلك، وهي قاعدة الكيف، ومفادها: «لتكن مساهمتك في التخاطب صادقة، وتتفرَّع عنها قاعدتان: لا تقل ما تعتقد أنه كذب، ولا تقل ما لا تملك إثبات صحته»[٢].

وقد جعل السهيلي الاستعمال من الوسائل التي يستعين بها المخاطَب لكشف قصد المتكلِّم؛ حيث يقول: «وأما (أو) التي للتخيير فعلى أصلها؛ لأن المخبر إنما يريد أحد الشيئين، وأما (أو) التي زعموا أنها للإباحة نحو: (جالس الحسن أو ابن سيرين)، فلم توجد الإباحة من لفظ (أو) ولا معناها، وإنما أخذت من صيغة الأمر مع قرائن الأحوال، و(أو) غير معتمدة في هذا الكلام، وإنما دخلت لغلب العادة في أن المشتغل بالفعل الواحد لا يشتغل بغيره، وأن المجالس للحسَن) أو ابن سيرين غير جامع بينهما معًا، ألا ترى أن المأمور بهذا لو جمع بين الشيئين المباحين لم يكن عاصيًا؟»[٣].

المحور الثالث: السياق وأفعال الكلام

أولاً: السياق:

من مميزات التفكير اللغوي لدى السهيلي اعتماده التحليل السياقي وبيان عناصر الموقف الكلامي، وكلها عناصر لها دورها في تحديد المعنى الذي ينتجه المتكلِّم، ويتعرَّض له المخاطَب.

يقول السهيلي في تفسير الإعراب: «الإعراب الذي هو الرفع والنصب والخفض محله أواخر الكلِم، ولبعض النحويين في تعليل ذلك كلام يرغب عنه، والحكمة فيه عندي – والله أعلم – أن الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلاً أو مفعولاً وغير ذلك، وتلك المعاني لا تلحق الاسم إلا بعد حصول العلم بحقيقته ومعناه، فوجب أن لا يتقدم الإعراب الاسم ولا يتوسَّطه في الوجود، وأن يترتب بعده، كما ترتب مدلوله – وهو الوصف – بعد مدلول الاسم، وهو المسمَّى الموصوف بذلك الوصف، والله أعلم»[٤].

---

١) نتائج الفكر في النحو، ص٢٦٢.

٢) التداوليات وتحليل الخطاب، ص٢٠، ومحاضرات في الاتجاهات الحديثة والنحو العربي، ص٧٦-٧٧.

٣) نتائج الفكر في النحو، ص١٩٩.

٤) السابق، ص٦٦.

وتظهر فائدة مهمة في النص السابق تتمثَّل في عناية السهيلي ببيان الحكمة الباعثة على الإعراب، وهذه الفائدة تسمَّى في التداولية بـ(نظرية الملاءمة)؛ إذ إنَّ المتكلِّم يستعمل المثير الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته[١].

وسوف نَتَنَاول السياق الكلامي عند السهيلي ونماذجه، من خلال السياق بنوعيه (المقالي، والمقامي):

١- سياق المقال:

يرتبط سياق المقال بعِلْم المخاطَب، ويمكن إجمال بعض الظواهر النحوية التي وُجِّهَت على علم المخاطَب عند السهيلي في بعض المواضع:

- **علم المخاطَب والتعريف والتنكير**، يقول السهيلي: «كل ما كان تعريفه لفظيًّا فلا يجوز تنكيره مع وجود آلة التعريف، وما كان تعريفه معنويًّا فقد يجوز تنكيره في بعض الأحوال، تقول: (مررت بعمرو وعمرو آخر، وبأحمد وأحمد آخر)»[٢].

- **علم المخاطَب والحذف:** يثير الحذف في ذهن المخاطَب عدَّة تساؤلات، تشبعه دلالاته المختلفة، وعبر عنه التداوليون بـ(البُعد الضمني) الذي يقوم على عمد المتكلِّم عند صياغة الكلام إلى اختصار العبارات والحلقات التي يقدِّر أن المخاطَب قادر على إرجاعها عند التأويل اعتمادًا على المعرفة المختزلة في ذهنه، ولا بد من علامة تخبر المخاطَب عن قصد المتكلِّم، فالمخاطَب لا بد أن يستدل بشيء يكشف عن المعنى[٣].

ويستند المخاطَب هنا إلى تقدير العنصر المحذوف للوصول إلى مقصد المتكلِّم، كما يعتمد السهيلي على سياق المقال في تأويل الجمل، يقول السهيلي: «الفعل يدل على فاعل مطلق، ولا يدل على تثنيته ولا على جمعه؛ لأن التثنية والجمع معنى يطرأ على الإفراد، والإفراد هو الأصل، ففعل الواحد مستغنٍ عن ظهور علامة الإضمار بعلم السامع أن له فاعلاً، وليس كذلك في التثنية والجمع؛ لأن السامع لا يعلم أن الفاعل مثنى ولا مجموع إلا بدليل»[٤].

فالمتكلِّم لم ينطق بالجملة تامَّة استنادًا إلى السياق المقالي الذي يتفق فيه المتكلم والمخاطَب، والذي يستطيع فيه المخاطَب إكمالَ الجزء الناقص، في إشارةٍ إلى الجهد الموازي لعمليات الإنتاج اللغوي كلامًا أو خطًّا.

وعند حديثه عن الفعل الذي يتعدَّى بحرف جر وبغير حرف جر، يبيِّن السهيلي سبَبَ حذف المفعول به؛ حيث يقول: «أصل هذا الفصل أن كلَّ فعل يقتضي مفعولاً

١) انظر: تجليات مفاهيم التداوليات في التراث العربي، ص٨٩.
٢) نتائج الفكر في النحو، ص١٧٠.
٣) انظر: الملمح التداولي في النحو العربي: تحليل واستنتاج، نعمة دهش فرحان الطائي، منشورات جامعة بغداد، د.ت، ص٤٧٥.
٤) نتائج الفكر في النحو، ص١٢٧.

ويطلبه، فلا يصل إلى ما بعده إلا بحرف الجر، م قد يحذف المفعول لعلم السامع به ويبقى المجرور»[١].

يتضح من هذا أنَّ السهيلي يعي جيدًا أنَّ كلاً من المتكلِّم والمخاطَب يدرك طبيعة التركيب، أو ما يسمى بـ(الكفاءة اللغوية)، وإلا أصبح صعبًا فهمُ مثل هذا التركيب؛ فاللغة في الاستعمال تعتمد على إدراك تركيب الجملة أو البنية العميقة لهذا الاستعمال[٢].

والسياق في التداولية يتجلَّى في أمرين مختلفين هما: التكميل، والتوسيع؛ ففي التكميل يحدِّد السياق العنصر الغائب نحويًّا ودلاليًّا، وهو ما عبَّر عنه نحاتنا القدماء بالحذف الجائز، في حين أنه في التوسيع يحدِّد العنصر الغائب دلاليًّا فحسب، ولا يحدِّد نحويًّا إلا على سبيل الافتراض، وهو ما عبَّر عنه نحاتنا بالحذف الواجب[٣].

وقد استخدم السهيلي التوسيع في تقدير المحذوف، وذلك بتقديره المحذوف على المستوى الدلالي دون المستوى التركيبي؛ حيث يقول: «معنى الإشارة ليس هو العامل، إذ الاسم الذي هو (هذا) ليس بمشتقٍّ من (أشار – يشير)، ولو جاز أن تعمل أسماء الإشارة لجاز أن تعمل علامات الإضمار؛ لأنها أيضًا إيماء وإشارة إلى مذكور، وإنما العامل فعل مضمر تقديره: (انظر)، وأضْمِر لدلالة الحال عليه من التوجه واللفظ»[٤].

– **علم المخاطَب واستتارة الضمير في الفعل:** يقول السهيلي: «فضمير الفاعل المستتر في الفعل كيف يصح استتارة فيه والفعل كلمة مؤتلفة من حروف والحروف أعراض في اللسان أجزاء من الصوت لا يستتر فيها شيء ولا يظهر إذ ليست بجسم؟ فالجواب: أن أكثر ألفاظ النحويين محمولة على التجاوز والتسامح، لا على الحقيقة؛ لأن مقصدهم التقريب على المبتدئين والتعليم للناشئين»[٥].

٢– سياق المقام:

أشار السهيلي إلى أنه يعتمد في فهم اللغة بين المستعملين على أمورٍ، منها: معرفة الناس بسعة مذاهبها، مثل: الحذف، والتقديم والتأخير، وغيرها، وكذلك على فهم هؤلاء المستعملين لأغراض المخاطَب، والعادَة في استعمال اللُّغة، وهذا يرتبط كذلك بالبنية العميقة والبنية السطحية؛ فكفاءة المخاطَب اللغوية تمكِّنه من تفسير الاستعمال اللغوي الظاهري، ومعرفة التأويل الدلالي المقصود.

---

١) السابق، ص٢٧١.

٢) انظر: التداولية عند ابن جني، ص٢٤٢.

٣) انظر: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، محروس بريك، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، تحت عنوان: سيبويه إمام النحاة، ٢٠١٠م، ص١٠٥٣.

٤) نتائج الفكر في النحو، ص١٧٩.

٥) السابق، ص١٢٧.

يقول السهيلي: «ويشهد لجميع ما قلناه في هذا الباب من دلالة الحروف المقطَّعة على المعاني والرمز بها إليها، كثير من منظوم الكلام ومنثوره، كقول الراجز: (قُلْتُ لَهَا: قِفِي فَقَالَتْ قَافِ)، وكقول الآخر لأخيه: ألا تا؟ فيقول له: ألا فا، يريد: ألا فارتحل»[١].

فلم يكتفِ السهيلي ببيان قصد المتكلِّم فقط، وإنما اهتمَّ ببيان المعاني العميقة الكامنة وراء الألفاظ، ومن بيانه المعنى الكامن وراء هذا التركيب، ومما يدل على اهتمام السهيلي بالبنية العميقة قوله: «الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحُها، يتفرَّس العاقل فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسِّه، كما يتعرَّف الصادق للفراسة صفات الأرواح في الأجساد بنحيزة نفسه»[٢].

ثانيًا: الأفعال الكلامية:

تعد الأفعال الكلامية من أهم المجالات في الدرس التداولي إن لم تكن أهمها[٣]؛ حيث إنَّ للغة وظيفةً تفاعليةً تروم إلى التأثير[٤]، ويقصد بها الإنجاز الذي يحققه المتكلِّم بمجرد تلفظه بألفاظ معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والسؤال، والتهنئة، ويقسِّمُونها إلى: لفظية، وإنجازية، وتأثيرية.

ويقصدون باللفظية ما يلفظه المتكلِّم من عبارات لغوية طبقًا للقواعد الصوتية، ويقصدون بالإنجازية ما يصحب هذه الأفعال اللفظية من أفعال تعبِّر عن قصد المتكلِّم، ويقصدون بالأفعال التأثيرية بالآثار التي يخلفها التلفُّظ بالعبارة لدى المخاطَب كأن يطرب أو يغضب أو ينفعل.. إلخ[٥]، وهذا التقسيم يشبه تقسيم علمائنا القدامى للكلام إلى خبر وإنشاء[٦].

وقد كان السهيلي يعي قيمة التفرقة بين الخبر والإنشاء الذي يترتَّب عليه حكم خاصٌّ لدى المخاطَب، فيقول: «قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له: أنتوضأ بماء البحر؟ فقال: ((هو الطهور ماؤه))[٧]، ولم يقل: (نعم)، توضؤوا منه، لئلاَّ يُتَوهَّم أنَّ الحكم مخصوص، بالسائل؛ فلمَّا أخبر عنه أنه الطهور ماؤه استمر فيه على العموم، ولم يُتَوَهَّم قصرُه على السبب»[٨].

---

١) السابق، ص١٧٦

٢) السابق، ص١٠١

٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤١.

٤) انظر: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص١٧.

٥) انظر: محاضرات في الاتجاهات الحديثة والنحو العربي، ص٧٣-٧٤.

٦) انظر: السابق، ص٧٤.

٧) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ١/ ٢٣٧، حديث رقم (٤٩١).

٨) نتائج الفكر في النحو، ص٢٤٤.

وقوله في موضع آخر: «ومن فوائد هذا الأصل أيضًا إجماعُهم في الرد على قولهم: (السلام عليكم): بـ(الألف واللام)؛ لأنها لو سقطت ههنا لصار الكلام خبرًا محضًا»[١].

إنَّ السهيلي يهتم ببيان الأفعال الإنجازية فيطرح أسئلة من قبيل: ما الفائدة من البدل في الدعاء؟ ولا يكتفي بمجرد الوظيفة النحوية للبدل، ويبحث عن أثر تداولي، كقوله: «ما فائدة تعريف الصراط المستقيم؟»[٢].

كما يهتم السهيلي ببيان قرائن أخرى معينة لإنجاز أفعال كلامية تتناسب مع مقتضى الحال؛ لتكون أدعى لتحقيق مطلوب المتكلِّم، فيقول: «فإذا وجب إحضار معتقدات الإيمان عند الدعاء، وجب أن يكون الطلب ممزوجًا بالثناء، فمِن ثَم جاء لفظ الطلب للهداية، ولفظ الرغبة مشوبًا بالخير تصريحًا من الداعي به بمعتقده، وتوسلاً من الداعي بذلك المعتقد إلى ربه، فإذا قال: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"[٣]، والمخالفون للحق يزعمون أنهم على الصراط المستقيم أيضًا، والداعي يجب عليه اعتقاد خلافهم وإظهار الحق الذي في نفسه، فلذلك أبدل وبين ليمرِّن اللسان على ما اعتقده الجنان، فأخبر مع الدعاء أن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين»[٤].

فالقواعد التداولية ترتبط بوضعية كل من المتكلِّم والمستمع، والفعل الإنجازي قد يولد أغراضًا أخرى بحسب القرائن والأحوال والمقام؛ فيفيد الفعل الإنجازي المتولِّد الدعاءَ إذا استعمل على سبيل التضرُّع، وكان توجه الخطاب الأمري من الأقل درجة إلى الأكثر منزلة؛ فالدعاء والالتماس وغيرها أغراض تواصلية ووظائف خطابية تؤدِّي بصيغة الأمر أو صيغة النهي على مقتضى قاعدة خروج الأسلوب عن مقتضى الظاهر[٥].

فالنص هنا يبرز ملامح تداولية مثل قصد المتكلِّم، والمقام، ومراعاة المخاطَب، وهنا يلتقي السهيلي مع (سيرل) في إجابته لسؤال: كيف يمكن للمتلقي أن يفهم الفعل الكلامي غير المباشر مع أن ما سمعه يدل على شيء آخر؟

---

١) السابق، ص٣٢١.

٢) السابق، ص٢٤.

٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

٤) نتائج الفكر في النحو، ص٢٣٥.

٥) انظر: أساليب الطلب في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ): متابعة بلاغية تداولية في منطق استعمالها، باديس لهويمل، بحث منشور في مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، ع(١٧)، أكتوبر ٢٠١٥م، ص٦٦.

يقول (سيرل): «إن في الأفعال الكلامية غير المباشرة يستطيع المتكلِّم أن يبلغ المتلقي أكثر مما يقوله بالفعل باستناده إلى معلومات خلفية لغوية وغير لغوية مشتركة بينهما وباستناده إلى مقدرات المتلقي العقلانية والاستدلالية»[١].

وأبدى السهيلي اهتمامًا كبيرًا بين أسلوب الكلام وبين معناه البلاغي ووظيفته التواصلية، مع حرصه على المعاني والأغراض التواصلية المقصودة من الخطاب، وبين السهيلي أن البنية التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية وليس العكس، ويبدو ذلك في تحليله لظاهرة التقديم والتأخير، أو وصف اسم الإشارة مثلاً، فيقول: «فإذا عرفت المخاطَب ما الذي تشير إليه فحينئذ فانعته إن شئت أو لا تنعته، ولا معنى لوصف (هذا) و(ذلك) بصفة مضافة»[٢].

والأفعال الكلامية قد تؤدَّى عن طريق لفظ مفرد كمعاني الأدوات، أو عن طريق تركيب كامل كبعض معاني التأكيد والتخصيص والتعيين[٣].

يقول السهيلي: «وأما دخول (ها) التي للتنبيه على هذه الأسماء؛ فلأن المخاطَب يحتاج إلى تنبيه على الاسم الذي يشير به إليه؛ لأن للإشارة قرائنَ حالٍ يُحتاج إلى أن ينظر إليها؛ فالمتكلِّم كأنه آمر له بالالتفات إلى المشار إليه أو منبه له، فلذلك اختص»[٤].

١) الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: دراسة دلالية في معجم معاصر، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص١٢٥.
٢) نتائج الفكر في النحو، ص١٦٨.
٣) انظر: التداولية عند العلماء العرب، ص٢١٩.
٤) نتائج الفكر في النحو، ص١٧٨.

خاتمة الدراسة:

بعد هذه الرحلة مع الملامح التداولية عند السهيلي، نخلص إلى النتائج التالية:

– حظيت كتب السهيلي بملامح كثيرة من التداولية، وإن لم يشر إليها السهيلي صراحة في الغالب، ولكنَّها تمثلت في تناوله للقضايا اللغوية التي عالجها.

– توجد معظم المحاور البحثية التي تدور حولها التداولية بشكل جليٍّ في كتب السهيلي الأربعة، وذلك نحو: مَن يتكلَّم؟ وما طرق حجاجه؟ وإلى من يتكلم؟ وما وسائل هذا المخاطَب في فهم المعنى وقبول الكلام؟ وما مصدر التشويش والإيضاح؟ وكيف نتكلم بشيء ونريد أشياء أخرى؟

– لم يغفل السهيلي كثيرًا مما تداوله جمهور المتكلِّمين عند الاستعمال اللغوي؛ وبرزت عنايته بالسماع، وبالعوامل المؤثِّرة في الخطاب، وفي المعنى التداولي، ويتجلَّى ذلك في كتب السهيلي، وما يمكن أن ينطوي تحتها من مسائل لغوية.

– اعتنى السهيلي بقصد المتكلِّم في كتبه؛ فأثناء الحوار يقصد المتكلِّم أكثر ممَّا يتكلَّم به، وهذا يبيِّن دور الجانب التواصلي في عملية الحوار، وتجاوز العبارات الحرفية إلى ما وراء العبارة.

– كشف السهيلي عن الدور الموازي من جانب المخاطَب، والذي يتمثل في حشد معرفته وخبراته وذائقته لإتمام عمليتي التكميل والتوسيع عند الحذف.

– بيَّن السهيلي أنَّ فهم الخطاب لا يتم باستحضار المستويات اللغوية الشكلية، وأنه لا بد من استحضار السياق اللغوي (المقالي) وغير اللغوي (المقامي)، وغيرها من الوسائل التي أشار إليها.

– استخدم السهيلي وسائل وتقانات لتوصيل أفكاره التداولية، منها: المفردات خصوصًا عند الكشف عن قصد المتكلِّم، والأدوات النحوية والصيغ والتراكيب العربية عند الحديث عن القوة الإنجازية التي يريد المتكلِّم تضمينها كلامه، واعتمد السهيلي كذلك على الأسئلة والأجوبة.

– نظر السهيلي إلى اللغة على أنها إنجاز فعلي واقعي، وليست بنية مبتورة عن سياقها المكوَّن من: متكلِّم، مخاطب، سياق.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: المطبوعات:

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الشاطبي، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٢- الأبعاد التداولية عند الأصوليين: مدرسة النجف الحديثة أنموذجًا، فضاء ذياب غليم الحسناوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٣- أساليب الطلب في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ): متابعة بلاغية تداولية في منطق استعمالها، باديس لهوميل، بحث منشور في مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، ع(١٧)، أكتوبر ٢٠١٥م.

٤- إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.

٥- أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عقيل عبدالزهرة مبدر، رسالة ماجستير بجامعة الكوفة، ٢٠١٢م.

٦- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: دراسة دلالية في معجم معاصر، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٧- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.

٨- الإمام السهيلي ومنهجه النحوي، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية، للباحثة: إحسان حسن صالح عبدالرحمن، إشراف: أ.د/ بكري محمد الحاج، ٢٠٠٩م.

٩- الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور نموذجًا، رسالة دكتوراه بكلية الآداب واللغات – جامعة الجزائر، للباحثة: نوال لخلف، الجزائر، ٢٠٠٧م.

١٠- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٥-١٧.

١١- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت.

١٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.

١٣- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج(٢)، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضي الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
١٥- التأويل التداولي في كتاب سيبويه، محروس بريك، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، تحت عنوان: سيبويه إمام النحاة، ٢٠١٠م.
١٦- تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي: تفسير فخر الدين الرازي لسورة المؤمنون أنموذجًا، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بلقايد، للباحث: عبدالرحمن بشلاغم، الجزائر، العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤م.
١٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع، تحقيق: حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٨- التحليل التداولي وبناء المعنى من خلال كتاب نتائج الفكر لأبي القاسم السهيلي، مصطفى أنكزدم، مقال منشور على موقع (أنفاس نت: من أجل الثقافة والإنسان) على الرابط التالي:
https://www.anfasse.org/٢٠١٠-١٢-٣٠-١٦-٠٤-١٣/٦٤٤٠
١٩- التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، مكتبة المثقف، بغداد، ط١، ٢٠١٥م.
٢٠- التداولية عند ابن جني: دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خرجي أقسام اللغات الشرقية، بالجامعات المصرية، مصر، ع(٣٩)، ٢٠٠٧م.
٢١- التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.
٢٢- التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.
٢٣- تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه (نتائج الفكر في النحو) في ضوء علم اللغة الحديث: دراسة تحليلية تأصيلية، رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات، جامعة معمري، للباحثة: ويزة أعراب، الجزائر، ٢٠١٢م.
٢٤- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٥هـ.
٢٥- الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، د.ت.
٢٦- الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، محمد السيد أبو حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٧- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني تعليق: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٩- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، المحقق: عمر عبدالسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٣٠- السهيلي وكتابه (الروض الأنف): دراسة نحوية صرفية، رسالة دكتوراه بكلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، لباحث: الشريف عثمان البشير بابكر، إشراف: أ.د/ عبدالرحيم سفيان حامد، ٢٠١٩م.
٣١- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج(١)، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
٣٢- علم اللغة الحديث، محمد حسن عبدالعزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.
٣٣- علم المخاطَب بين التوجيه النحوي والتداولية، عمر محمد أبو نواس، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج(٧)، ع(٢)، ربيع الثاني ١٤٣٢هـ / نيسان ٢٠١١م.
٣٤- علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
٣٥- علم لغة النص، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ج(١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
٣٧- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م.
٣٨- الفرائض وشرح آيات الوصية، السهيلي، المحقق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٣٩- القارئ والنص، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر الكويتية، مج(٢٣)، ع(٣-٤)، ١٩٩٥م.
٤٠- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.
٤١- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٤٢- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
٤٣- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
٤٤- اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.
٤٥- مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٦- محاضرات في الاتجاهات الحديثة والدرس النحوي، مصطفى أحمد عبدالعليم، مطبوعات كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، الجيزة، د.ت.
٤٧- مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بو جراند وولفجابج دريسلر، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد، دار الكاتب، القاهرة، ١٩٩٢م.
٤٨- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تودوروف وشاف ودوميت، ترجمة وتعليق: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.
٤٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٥٠- مسائل النحو والصرف في (أمالي السهيلي): عرض وتحليل، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، للباحثة: غادة محمد أحمد أحمد نصر، إشراف: أ.د/ عبدالله محمد آدم أبو نظيفة، الخرطوم، ٢٠٠٣م.
٥١- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، حديث رقم (٤٩١).
٥٢- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، أبو عبدالله بن عسكر، أبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج: عبدالله المرابط المرعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٩٩م.
٥٣- المعايير النصية في السور القرآنية، يسري نوفل، دار النابغة، القاهرة، ٢٠١٤م.
٥٤- الملمح التداولي في النحو العربي: تحليل واستنتاج، نعمة دهش فرحان الطائي، منشورات جامعة بغداد، د.ت.
٥٥- الملمح التداولي في النحو العربي: تحليل واستنتاج، نعمة فرحان الطائي، جامعة بغداد، ع(٨)، محرم ١٤٣٥هـ / كانون الأول، ٢٠١٣م.
٥٦- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م
٥٧- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٥٨- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بورجراند، ترجمة: تمام حسان عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
٥٩- نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٦٠- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، المغرب، ١٩٨٥م.